

المجلس (٤٠)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الْأَتَمَانِ الْأَكْمَلَانِ عَلَى الْمَبْعُوثِ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

❖ أما بعد ❖

فأرحب بالجميع في هذا المجلس العلمي في مسجد قباء، وأهلاً وسهلاً بالذين أحبههم وأودهم في الله ذي الآلاء، نجتمع في هذا المسجد العلمي، في هذا المجلس العلمي في مسجد قباء في مدينة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، على شرح كتاب الكبائر للإمام الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وسائر علماء المسلمين، وقد مَنَّ اللَّهُ علينا بأن شرحنا ما يتعلق بـ ٣٣ كبيرة شرعاً نرجو أن يكون مغنياً ومقنياً لطلاب العلم ولمن يستمع له، ونواصل قراءة ما سطره هذا الإمام الناصح رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ونعلق عليه.

❖ قال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْكِبَائِرُ: (الكبيرة الرابعة والثلاثون: الخيانة).

هذه هي الكبيرة الرابعة بعد الثلاثين عند الإمام الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وهي الخيانة. والخيانة في اللغة من الخون وهو النقص، وذلك أن الخيانة نقص في الإنسان عند العقلاء ونقص في أخلاقه وهي نقيض الأمانة.

وأما في الشرع فالخيانة هي عدم وفاء الإنسان بما أُلْزِمَ به شرعاً أو أُلْزِمَ به نفسه؛ فعدم الصلاة خيانة، وعدم الزكاة على من تجب عليه خيانة، وعدم حفظ الوديعة خيانة، وعدم حفظ الحديث المؤتمن عليه خيانة.

قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "الصلاة أمانة، والوضوء أمانة، والوزن أمانة، والمكيال أمانة"

وعدد أشياء.

ثم قال: "وأشد ذلك الودائع، أشد ذلك الودائع"، رواه أحمد وحسنه الألباني.

قال إن الصلاة أمانة، والوضوء أمانة، والوزن كون الإنسان يزن للناس أمانة والمكيال أمانة، وعدد أشياء مما يلزم الإنسان شرعاً أو ألزم به نفسه.

ثم قال: "وأشد ذلك الودائع" يعني أن أشدها من جهة كثرة الخيانة فيها الودائع؛ فهذا معنى الخيانة في الشرع.

﴿قال رحمه الله:﴾ (قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧]).

هذه الآية قال جمع من المفسرين إنها نزلت في منافق كان يكتب أخبار النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ويظهر أسرارهم لقريش، فأنزلت الآية المؤمنين عن مثل فعله، فيكون معنى الآية: يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول بإظهار أخبار المسلمين ونشر أسرارهم كما يفعل المنافقون أهل الخيانة، فإن فعلتم ذلك فذاك أقبح أنواع الخيانة.

فقول الله: "**وتخونوا أماناتكم**" يعني إن خنتم الله وخنتم الرسول فقد وقعتم في أقبح أنواع خيانة أماناتكم.

وقال بعض أهل العلم: بل المعنى لا تخونوا الله والرسول بنقض عهد الإيثار، بنقض عهد الإيثار، ولا تخونوا أماناتكم بتضييع ما يجب عليكم ونقض الأمانات التي عندكم؛ يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول بنقض عَقْدَةِ الإيثار ولا تخونوا أماناتكم بتضييع ما وجب عليكم أو بنقض الأمانات عندكم.

فهذا تعظيم لشأن الخيانة وأنها من جهل صاحبها، والجهل يطلق أحياناً على شدة المعصية فيكون الذي فعل هذه المعصية جاهلاً وإن كان عالماً، وهذا من أشنع أنواع الجهل.

﴿قال رحمه الله:﴾ (وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْخَائِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٢]).

أي أن الله لا يهدي الخائنين بكيدهم، إن الله لا يهدي الخائنين بكيدهم، فكل خائن لابد أن تعود خيائته عليه ولا بد أن يجني على نفسه ولا بد أن يفضح؛ إن لم يفضح في الدنيا فوضح في الآخرة.

فلكل غادر لواء يوم القيامة يكون عند استه يفضح به، يقال: هذه غدرة فلان. فكل خائن لا بد من أن تعود خيائته عليه ولا بد من أن يجني على نفسه ولا بد من أن يفضح؛ إن لم يفضح في الدنيا ففضح في الآخرة.

﴿ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقال تعالى: ﴿وَمَا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨].

يخاطب الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين تبعاً: **"وإما تخاف تخافن من قوم بينك وبينهم عهد"**، **"وإما تخافن من قوم بينك وبينهم عهد خيانة"**. هذا الخوف إما بالعلم بها؛ كأن علم أنهم تحالفوا مع عدو من أعدائه، حصل الحلف، أو بقيام سببها؛ بأن علم أنهم يسعون لإقامة حلف مع عدو من أعدائه.

إذا فعلوا ذلك وخفت الخيانة بالعلم بها أو بقيام سببها فلا تخنهم ولا تعاملهم بالكتمان، بل انبذ إليهم عهدهم على سواء بظهور وبيان؛ إن الله لا يحب الخائنين الغادرين بعهودهم، بل يبغضهم أشد البغض.

وفي هذا أن المؤمن لا يكون من أهل الخيانة حتى مع من خانته، فمن ائتمنه أدى إليه أمانته ومن خانته لم يخنه، بل يعامله بالبيان ما يكتفم ويغدر بل يعامله بالبيان.

﴿ وقد جاء في الحديث: «أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنِ اتَّمَمْتُكَ، وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ».

رواه أحمد وأبو داود والترمذي وصححه الألباني، هذا خطاب للمؤمن: **«أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنِ اتَّمَمْتُكَ، وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ».**

واستثنى جماعة من العلماء مسألة الظفر، ومعنى الظفر: إذا كان للإنسان حق ثابت يعلم الله ثبوته على آخر ولم يعطه ذلك حقه، فظفر بهال له فهل له أن يأخذ منه بدون أن يعلم؟

قال جماعة من الفقهاء: "له ذلك".

وقال بعضهم: "إن وجد جنس حقه أخذ منه وإلا فلا؛ يعني له رials، له رials عند شخص ولم يعطه حقه ووجد تمرًا له هؤلاء يقولون ما يأخذ، لا يأخذ إلا من جنس حقه".

وقال جماعة من الفقهاء: "لا يجوز له أن يأخذ خفية إلا إذا علم بغلبة الظن أنه لا يقع نزاع بسبب ذلك"، كما في حق الزوجة إذا لم يعطها زوجها حقها من النفقة الواجبة وأخذت من ماله، فإن هذا يؤمن فيه النزاع؛ يعني يبعد أن الزوج يرفع زوجته إلى القضاء من أجل هذا، وما عدا هذا فلا.

وقال بعض أهل العلم: "لا يجوز أن يأخذ أصلاً".

❖ لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ»، ولأن مثل هذا يرفع إلى القضاء، ولو سُلِّطَ الناس على بعضهم لتجاوزوا الحد، وكل من استثنى حديث هند بنت عتبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في الصحيح؛ أنها جاءت إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالت: "يا رسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح وليس يعطيني وولدي إلا ما أخذت وهو لا يعلم".

❖ فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خُذِي مَا يَكْفِيكَ وَوَلَدُكِ بِالْمَعْرُوفِ».

فكل من استثنى احتج بهذا الحديث على قوله، والراجح عندي كما ذكرته مراراً أنه لا يجوز له أن يأخذ خفية إلا إذا أُمِنَ النزاع كما في شأن الزوجة؛ لأن الحديث ما جاء مطلقاً وإنما جاء في أمر الزوجة. فالزوجة ومن كان مثلها الذي إذا أخذ خفية لو علم صاحب المال لما حصل النزاع والرفع إلى القضاء يجوز له أن يأخذ، أما ما عدا ذلك فليس له؛ «أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنِ اتَّمَنَّاكَ، وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ». إذاً هذا شأن المؤمن لا يخون حتى من خانه، لا يعامله بالغدر بل ينبذ إليه على سواء ويبين ويظهر كما دلت عليه الآية والحديث.

❖ قال رحمه الله: (وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ». رواه أحمد وأبو يعلى وابن حبان وصححه الألباني، رواه أحمد وأبو يعلى وابن حبان وصححه الألباني).

قال أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "ما خطبنا نبي الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا قال: «لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ»". يعني أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان غالباً كثيراً يجعل هذه الجملة في خطبته، وهذا من السنن التي تركت؛ أن الخطيب يقول هذه الجملة.

يقول أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "ما خطبنا نبي الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا قال: «لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ»". "لا إيمان" أي لا إيمان كاملاً، فهو نفي لكمال الإيمان الواجب كما تقدم

معنا مراراً، نفى لكمال الإيمان الواجب، فمن لا أمانة له فإيمانه الواجب ناقص، لا يعني أنه كافر وإنما إيمانه الواجب ناقص، وبمقدار خيانتته يكون نقص إيمانه الواجب.

ونفى الإيمان عمن لا أمانة له يدل على أن الخيانة من كبائر الذنوب؛ لأن كما تقدم معنا مراراً لا ينفي الإيمان إلا بشيء هو من خصائص الإيمان، يعني بشيء ضده من خصائص الإيمان.

«لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةٌ لَهُ» إذا الأمانة من خصائص الإيمان، من خصائص الإيمان، فالخيانة من كبائر الذنوب. "ولا دين لمن لا عهد له" أي لا دين تأمل لمن لا عهد له بل هو غدار.

﴿قال رحمه الله:﴾ (وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبًا، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ»). متفق عليه).

مر معنا مراراً؛ علامة المنافق ثلاث: "إذا حدث كذب" وهذه صفة فيه ليس أنه مرة يعني يحدث فيكذب، لا، صفته أنه إذا حدث كذب. "وإذا وعد أخلف" فلا يفي بالوعد.

"وإذا ائتمن خان" فمن وجدت فيه هذه الثلاث كان منافقاً خالصاً؛ لأن اجتماع هذه الثلاث يكاد لا يوجد مع الإيمان، ومن وجدت فيه خصلة منهن ففيه خصلة من نفاق حتى يدعها، فدل ذلك على أن الخيانة من كبائر الذنوب.

﴿قال رحمه الله:﴾ (والخيانة في كل شيء قبيحة، وبعضها شر من بعض، وليس من خانك في فلس كمن خانك في أهلِكَ ومالك وارتكب العظائم).

الخيانة قليلها وكبيرها قبيحة، والخيانة من حيث ذاتها من كبائر الذنوب، لكنها في قبحها تتفاضل فبعضها أشد قبحاً من بعض، من خانك في ١٠٠ ريال قد ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب، لكنه ليس كمن خانك في ١٠,٠٠٠ ريال أو في ١٠٠,٠٠٠ ريال.

من خانك في كيلو أرز غشك فيه وخانك ليس كمن خانك في عرضك؛ فتزوج ابنتك وهو ينوي أن يطلقها، أو تزوج أختك وهو ينوي أن يطلقها، والله إن هذا من الخيانة هذا التحقيق وإن أجازه من أجازه. لا شك أن هذا أقبح ممن خان في أرز أو أكل أو نحو ذلك.

قال رحمه الله:﴾ (الكبيرة الخامسة والثلاثون: التعلم للدنيا وكتمان العلم).

العلم الشرعي تعلمه وتعليمه من أشرف العبادات، فيشترط له الإخلاص، ويجب فيه العمل به فيما يلزم، وزكاته الواجبة بذله لمن يحتاجه.

العلم الشرعي من أشرف العبادات؛ فيشترط فيه الإخلاص ويجب فيه العمل به فيما يلزم من فعل الواجبات وترك المحرمات، وزكاته الواجبة بذله لمن يحتاجه، وبالتالي فالكبيرة في باب تعلم العلم وتعليمه قد تكون بأن يتعلم الإنسان العلم أو يعلم العلم رياءً ليمدح، أو لينال عرضاً زائلاً من أعراض الدنيا كالمكانة عند الناس والوجاهة عند الناس أو المال أو نحو ذلك، هذه من كبائر الذنوب. وقد يكون بأن لا يعمل بعلمه فيما يلزم؛ فهذا من كبائر الذنوب، وقد يكون بأن يكتم عمن يحتاج إليه من غير عذر؛ فكل هذه الصور الثلاث داخله في هذه الكبيرة التي يذكرها الذهبي **رَحِمَهُ اللهُ**.

﴿قَالَ رَحِمَهُ اللهُ﴾ (قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]).

هذا حصر الخشية في العلماء، معناه أن الخشية الكاملة لله إنما تكون من العلماء، ومعنى ذلك أن من لم يرزق بعلمه الخشية ففي علمه خلل ومخالفة.

والله من تعلم العلم على الوجه الذي يرضي الله أو عَلَّمَ العلم على الوجه الذي يرضي الله لا بد من أن يرزق الخشية، فإذا لم يرزق الخشية بالعلم فهذا يدل على أنه لم يتعلم على الوجه الذي يرضي الله أو لم يعلم على الوجه الذي يرضي الله **عَزَّ وَجَلَّ**.

﴿قَالَ رَحِمَهُ اللهُ﴾ (وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩]).

إن الذين يكتُمون وهم علماء اليهود والنصارى، علماء اليهود والنصارى، ما أنزلنا من البينات يعني في كتبهم من أخبار وعلامات النبي محمد **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، من أخبار وعلامات النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

وسبحان الله كتبهم حتى مع تحريفها لا زالت فيها بعض أخبار النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وقد قرأت التوراة كاملة والإنجيل كاملاً لسبب من الأسباب في رسالة من رسائي فوجدت بعض صفات النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وأخباره لا زالت موجودة؛ كالإشارة إلى مكة والإشارة إلى هجرته للمدينة وإلى اسمه أحمد.

فعلماء اليهود والنصارى ما استطاعوا أن يحرفوه حرفوه، وما فاتهم أن يحرفوه كتموه ولم يظهره، مع أنهم قبل ظهور النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** كانوا يتوعدون العرب به وبظهوره.

"**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى**"، الهدى الذي نزل عليهم في التوراة والإنجيل،

"**مَنْ بَعْدَ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ**" أي يطردهم ويبيدهم عن رحمته، "**وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ**" تلعنهم الخلائق الملائكة حتى الحيتان في الماء.

وهذه الآية وإن كانت في الأصل في علماء اليهود والنصارى، إلا أن حكمها عام لكل من كتم على الناس ما نزل إليهم التي هي البينات، أو كتم عنهم العلم النافع الذي هو الهدى الذي يهدي إلى صراط الله المستقيم وإلى طريق أهل النعيم.

انتبهوا لهذا الآية الأصل أنه قصِدَ بها علماء اليهود والنصارى، لكن كل من اتصف بصفاتهم استحق هذا اللعن، فالذين يكتُمون البينات والهدى من أجل الدنيا، من أجل أمور أخرى، أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون؛ فدل ذلك على أن كتم الهدى عن الناس من كبائر الذنوب.

﴿قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ﴾ (قال تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾** [البقرة: ١٧٤]).

"**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ**" عام، "**وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا**" فيكتمون العلم بسبب أعراض الدنيا، "**أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ**" فبئس الثمن الذي يأخذونه، "**وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**" تكليم رحمة، "**وَلَا يُزَكِّيهِمْ**" لا يطهرهم من ذنوبهم، "**وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**"؛ فهذا وعيد شديد لمن يكتم العلم من أجل الدنيا.

﴿قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ﴾ (وقال تعالى: **﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنَنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُخْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾** [آل عمران: ١٨٧]).

فهذا ميثاق الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** على أهل العلم أن يبينوا الهدى للناس، فمن نبذه وراء ظهره ولم يقم بحقه فإنه إنما يشتري ثمنًا قليلًا ولا يأكل في بطنه إلا النار وبئس هذا الشراء، إنه والله الخسارة الكبرى؛ فدل هذا على أن كتم العلم عند الحاجة إليه ممن علم من كبائر الذنوب.

﴿ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ ﴾: (وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ، لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا، لَمْ يَجِدْ عَرَفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» يعني ريجها. رواه أبو داود بإسناد صحيح).

رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه وصححه الألباني. "من تعلم علمًا"، علمًا نكرة في سياق الشرط، "علمًا" نكرة في سياق الشرط فيعلم كل علم؛ صغيرًا كان أو كبيرًا، قليلًا كان أو كثيرًا. "من تعلم علمًا" مما يبتغى به وجه الله" يعني مما يقصد به وجه الله.

قال العلماء: هو العلم الشرعي وعلوم الآلة التي توصل إلى العلم الشرعي، الوسيلة لها حكم المقصد، فيدخل في ذلك تعلم اللغة، ويدخل في ذلك تعلم أصول الفقه، ويدخل في ذلك تعلم مصطلح الحديث.

"مما يبتغى به وجه الله" يعني مما يقصد به وجه الله، "لا يتعلمه" حصر، "إلا ليصيب به عرضًا من الدنيا" إلا ليحصل به أمرًا من أمور الدنيا وكل أمور الدنيا أعراض تزول. "لم يجد عَرَفَ الجنة" يعني لم يجد رائحة الجنة يوم القيامة، وهذا وعيد بأن يبعد عن الجنة بعدًا شديدًا؛ فإنه قد جاء في بعض النصوص أن رائحة الجنة توجد على مسيرة ١٠٠ عام، وفي بعضها على مسيرة ٧٠ عامًا؛ هذا أنه يبعد بعدًا بعيدًا شديدًا عن الجنة.

قال يعني ريجها؛ قاله شريح أحد رواة الحديث قال يعني ريجها. العَرَفُ بفتح العين هو الرائحة؛ فمتوعد بأن لا يجد ريح الجنة يوم القيامة والعياذ بالله.

﴿ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ ﴾: (وقد مر حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الثلاثة الذين يسحبون إلى النار؛ أحدهم الذي يقال له: "إنما تعلمت ليقال عالم، وقد قيل").

وقد مر معنا في المجلس الماضي، وهذا من أول من تسعر بهم النار يوم القيامة؛ نعوذ بالله من سوء الحال، وقد سبق التعليق عليه.

﴿ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ ﴾: (وعن يحيى بن أيوب، عن ابن جريج، عن أبي الزبير، عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا قال: «لَا تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ لِتُبَاهُوا بِهِ الْعُلَمَاءَ، أَوْ تُمَارُوا بِهِ السُّفَهَاءَ، وَلَا تَخَيَّرُوا بِهِ الْمَجَالِسَ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَالْتَأَرُ النَّارُ»). رواه ابن وهب عن ابن جريج فأرسله).

يعني أن ابن وهب قال سمعت ابن جريج يحدث أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال؛ ابن وهب قال سمعت ابن جريج يحدث أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال وابن جريج تابعي فأرسل، لكن قال الحاكم: حفظه يحيى المصري عن ابن جريج فوصله، قال الحاكم حفظه يحيى المصري عن ابن جريج فوصله؛ يعني جاء عن يحيى بن أيوب عن ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال.

والتحقيق أن الإرسال لا يوهن الوصل ولو من راو واحد؛ فأحياناً ينشط الراوي فيوصل وأحياناً يرسل، مادام أن الإسناد قد صح بالوصل فإن الإرسال لا يوهن هذا الوصل، هذا التحقيق.

والحديث رواه ابن ماجه وابن حبان والحاكم، رواه ابن ماجه وابن حبان والحاكم والحديث صحيح. « **لَا تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ** » يعني الذي يتغنى به وجه الله، « **لِتُبَاهُوا بِهِ الْعُلَمَاءُ** » لتفاخروا به العلماء، يعني حتى إذا جلستم في مجلس مع العلماء تتكلمون معهم كما يتكلم العلماء. « **أَوْ تُمَارُوا بِهِ السُّفَهَاءُ** » أو تجادلوا به الجهلة، وسمي الجاهل سفيهاً لأن الجهل نقص في العقل؛ لأن الجهل نقص في العقل يا إخوة. من كمال العقل العلم؛ من مما يغذي به العقل ليكمل العلم، والجهل نقص في العقل ولذلك سمي الجهل سفهاء من هذا الباب. « **وَلَا تَخَيَّرُوا بِهِ الْمَجَالِسَ** » يعني لا تجعلوه وسيلة لتجلسوا في خير المجالس، في صدرها بسبب ما عندكم من علم.

« **فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ** » أي تعلم العلم ليباهي به العلماء أو ليماري به السفهاء أو ليتخير به المجالس، « **فَالنَّارُ النَّارُ** » يحتمل هذا أن يكون وعيداً، وعيد بالنار، ويحتمل أن يكون دعاء عليه، وكلاهما شديد؛ نعوذ بالله من سوء الحال.

قال رحمه الله: (وروى إسحاق بن يحيى بن طلحة، عن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه رضي الله عنه، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: « **مَنْ ابْتَغَى الْعِلْمَ لِيُبَاهِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ أَوْ يُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ أَوْ تُقْبَلَ أَفْئِدَةُ النَّاسِ إِلَيْهِ فَالْيَ النَّارِ** ». وفي لفظ: « **أَدْخَلَهُ اللَّهُ النَّارَ** »، رواه الترمذي لكن إسحاق واهن).

الترمذي ما رواه بهذا اللفظ، وإنما الذي رواه بهذا اللفظ الحاكم والبيهقي وحسنه الألباني، وقد درست إسناده وظهر لي أنه حسن لغيره، أنه حسن لغيره.

❦ أما الترمذي فرواه بلفظ: «مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُجَارِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ أَوْ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ أَوْ يَصْرِفَ

بِهِ وَجْهَهُ النَّاسِ إِلَيْهِ أَدْخَلَهُ اللَّهُ النَّارَ». هذا لفظ الترمذي وهو أيضاً عند الترمذي حسن، فالحديث فيه وعيد شديد؛ من ابتغى العلم وطلب العلم ليفاخر به العلماء أو يجادل به الجهلة أو يصرف به وجوه الناس إليه فتقبل قلوب الناس إليه وإذا مَرِينظرون إليه ويجونه من أجل علمه، يجونه من أجل علمه، فإلى النار، هذا كما قلنا يحتمل أن يكون وعيداً ويحتمل أن يكون دعاء، وكلا الأمرين شديد؛ نعوذ بالله من سوء الحال.

❦ قال رحمه الله: (وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكْتَمَهُ أُلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ»). إسناده صحيح، رواه عطاء عن أبي هريرة رضي الله عنه).

رواه أحمد وأحمد وابن ماجه وأبو داود والترمذي وصححه الألباني، رواه أحمد وأحمد وابن ماجه وأبو داود والترمذي وصححه الألباني.

❦ قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ» عنده ما هو سُئِلَ عن علم وهو لا يعلم، فقال: من سئل عن علم عنده ممن يحتاجه، أما إذا كان السائل لا يحتاجه أو له فيه مقاصد فاسدة فإن كتمانها ليس معيباً.

ولذلك جاء عن الإمام مالك رحمه الله أن شاباً كان يسأله فلا يجيبه ويجيب الناس، فقال: يا أبا عبد الله أسألك ولا تجيبني؟ فقال: "لو سألتني عما يعنيك لأجبتك". وهذا نراه من بعض السائلين؛ بعض السائلين يسأل عما لا يحتاج إليه ولا يعنيه، بل ربما لو أثاره في بلده لأحدث شراً؛ مثل هذا يكتُم عنه هذا العلم.

وبعض الناس تجد أنه له مقاصد، له مقاصد؛ فإذا علم العالم القصد بقرائنه فإنه يكتُم العلم عنه أو يسجره، بعض الناس مثلاً ينتقل بين المشايخ؛ العصر يلقي السؤال على سليمان الرحيلي، بعد المغرب على الشيخ عبد الرزاق البدر، بعد العشاء على الشيخ علي التويجري مثلاً؛ لما ينتقل بسؤاله يريد أن يضرب كلام الشيوخ ببعض؛ من علم حاله ما يجيب.

بعض الناس يريد أن يستخلص منك كلاماً ليبنى عليه شيئاً آخر، يعني مثلاً الأسبوع الماضي أو الذي قبله عندما تكلمنا عن المكوس وقلنا فرض الضرائب يأت من يقول من الذي يفرض الضرائب؟ ماذا تقصد؟

من الذي يريد أن تقول الحاكم حتى يقول ينكر على الحاكم؛ لأنهم جهلة ما يفرقون بين تقرير الأحكام والإنكار على الحاكم؛ مثل هذا ما تحببه. وقد يرسلون هذا لبعض طلابنا الأعزاء علينا وطلابنا جزاهم الله عني وعن الناس خيراً يريدون نفع الناس ويطرحون على الأسئلة ويتعبوني، لكن أجيبهم وأدعو لهم، لكن نحن أكثر خبرة من طلابنا بالناس ونعرف أحياناً بالقرائن ما وراء الأسئلة. إذاً من سئل عن علم عنده ممن يحتاجه فكتمه الجم يوم القيامة بلجام من النار؛ يعني أنه متوعد بدخول النار، فهذا يدل على أن كتمان العلم ممن يحتاجه من كبائر الذنوب.

❏ قال رحمه الله: (وقال عبد الله بن عياش القتباني، عن أبيه، عن أبي عبد الرحمن الحبلي، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ كَتَمَ عِلْماً أَلْجَمَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ». قال الحاكم: على شرطهما، ولا أعلم له علة).

رواه الحاكم وقال معنى هذا الكلام ليس بالنص ووافقه الذهبي هناك في التلخيص، وافقه في التلخيص، ورواه أيضاً ابن حبان؛ ورواه أيضاً ابن حبان وهو بمعنى الذي قبله.

❏ قال رحمه الله: (وقال النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ»).
رواه مسلم في الصحيح، استعاذة النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من علم لا ينفع، لا ينفع صاحبه بحيث يزكيه ويعمل به فيما هو لازم، ولا ينفع غيره أيضاً؛ فهذا علم الجاهل خير منه.
العلم الذي لا ينفع إما في ذاته بأن لا يكون مأخوذاً من أصل صحيح وبالتالي لا يهدي إلى صراط الله المستقيم، وإما في العالم به بحيث لا يعمل به ولا يزداد إيمانه به ولا ينفع الناس به؛ نعوذ بالله من سوء الحال.

❏ قال رحمه الله: (وعن النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ تَعَلَّمَ عِلْماً لِغَيْرِ اللَّهِ أَوْ أَرَادَ بِهِ غَيْرَ اللَّهِ فَلْيَتَّبِعْهُ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ»). حسنه الترمذي.

رواه الترمذي وقال حسن غريب، ورواه النسائي في الكبرى وضعفه الألباني والحديث ضعيف.

﴿الجواب: لكن معناه ورد في الحديث السابق: «مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُتَغَى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ، لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا، لَمْ يَجِدْ عَرَفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

﴿قال رحمه الله: (وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "من تعلم علماً لم يعمل به لم يزد العلم إلا كبراً").

هذا الأثر رواه قوام السنة الأصبهاني في الترغيب والترهيب: "من تعلم علماً لم يعمل به لم يزد العلم إلا كبراً"؛ يعني حتى يتزكى الإنسان بعلمه لا بد من أن يكون مخلصاً عاملاً بعلمه فيما يلزم وجوباً وفي غيره ندباً، فإذا كان الإنسان يجمع بين الإخلاص والعمل يزداد خشية لله ويتزكى بالعلم، أما إذا لم يعمل بعلمه فإنه لا يكتسب من علمه إلا كبراً، وقد تقدم الكلام عن الكبر وبيننا ما يتعلق به. لعلنا نقف عند هذه النقطة واعتذر فقد أطلنا، ونكمل هذا إن شاء الله الأسبوع القادم ندخل في الكبيرة التي بعده؛ أعني ندخل في كلام الذهبي عن الكبيرة التي بعده الـ ٣٦ ونشرحها إن شاء الله عزَّ وجلَّ.

أسأل الله عزَّ وجلَّ أن يجعل هذا الجمع مما يزيدنا خيراً وبركة ومما يقربنا إلى ربنا، ومما ينفعنا ونحن في الدنيا وينفعنا ويسرنا عند لقاء ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَى وَأَعْلَمُ.
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَسَلَّم.

